أعلام العرب

الكتاب القادم

الناصر صلاح الدين

للدكتور

سعيد عبد الفتاح عاشور

يصدر في ٧ مايو ١٩٦٥

الدار القومية للطباعة والنشر

يطلب من

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

الثمن ٥ قروش

أعلام العرب
٤٠

الجويني
إمام الحرمين

بقلم
الدكتورة فوقية حسين محمود
كلية البنات بجامعة عين شمس بالقاهرة

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيـــدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا .

مقـــدمة

يسرنا ، ونحن نعيش هذه الأيام ، فى موسم اسلامى كريم ، أن نقدم بين يدى القراء عرضا لسيرة شخصية دينية لها جلالها ووقارها احتلت فى قلوب المســلمين مكانة كبرى ، ألا وهى شخصية أبى المعالى ، امام الحرمين ، عبد الملك الجوينى .

وامام الحرمين ، امام من الأئمة الذين تمتعوا بأكبر قسط من الاحترام والتقدير ، ابان القرن الخامس الهجرى . ذاع صيته بين معاصريه ، وامتد هذا الصيت الى من جاء بعده ؛ فكان المرجع لكل حريص على أمور الدين ، غيور على اعلاء شأنه .

ولكى يتبين هــذا ، نذكر بضعة أقوال لرجال من كبار أئمة عصره ، واللاحقين عليه .

قال (أبو اسحق الشيرازى) وهو رئيس المدرسة النظامية ببغداد : « تمتعوا بهذا الامام ، فانه نزهة هذا الزمان » . وقال له مرة أخرى : « يا مفيد أهل المشرق والمغرب ، لقد استفاد من علمكم الأولون والآخرون » .

وهناك امام آخر من أئمة ذلك العصر ، وهو شيخ الاسلام (أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى) وقد سمع امام الحرمين فى بعض المحافل فقال :

« صرف الله المكاره عن هذا الامام ، فهو اليوم قرة عين الاسلام ، والذاب عنه بحسن الكلام » .

أما أبو القاسم القشيرى ، فقد قال : « لو ادعى امام الحرمين اليوم النبوة لاستغنى ، بكلامه هنا عن المعجزة » . يعنى أن ما كان يصدر من كلام عن الامام ، كان له من قوة الحجة ، ما يجعله بمثابة المعجزة بالنسبة للأنبياء . ولا غرابة فى ذلك ، فأقواله التى واجه بها معاصريه ، كانت صادرة عن نفس عاشت ، فيما عاش فيه الآخرون ، وتعرضت لما تعرضوا له من المآزق والأزمات ، فجاءت ملائمة لعلاج الداء الذى أصيبوا به ، فكانت بالنسبة لهم دواء شافيا من الحيرة التى أقلقت نفوسهم فترة طويلة من الزمن .

وأقوال (السبكى) مثال طيب لرأى اللاحقين عليه فيه . فلم يتحرج هذا المؤرخ من أن يرفع منزلة الامام الجوينى على منزلة شيخين امامين ، معترف لهما بالسبق فى الامامة ، وهما القفال « شيخ الخراسانيين » وأبو حامد . ولم يكتف بهذا ،

بل صرح بأن مقارنة الامام بالسابقين عليه تثبت أنه قد أربى على كثير من المتقدمين ، وأنسى تصرفات الأولين ، وسعى فى دين الله ، سعيا يبقى أثره الى يوم الدين . لهذه المكانة العظيمة نعرض اليوم لهذه الشخصية بالدراسة والبحث .

والحقيقة أن المكتبة العربية لا تزال فى أشد الحاجة الى الدراسات المختلفة لسير ومذاهب كبار أئمة المسلمين ، وذلك أن توجيه الجهود الى مثل هـذه السـير والمذاهب ، سيكشف لنا ، ليس فقط عن سير رجال خدموا الدين بقلوبهم وعقولهم بل سيدلنا على أنماط متعددة من السلوك العربى الأصيل ، والجهاد العلمى والدينى الصافى ، قد يقلب ظهورها تاريخ الفكر البشرى ؛ فقد درج مؤرخو نتاج الفكر من الشرقيين والغربيين على رد نهضة العلم الحديث الى أهل الغرب ، ظانين أنهم استقوا أصول البحث القويم من فلاسفة المنهج ، من أمثال « ديكارت » وغيره .

والواقع الذى أغفله هؤلاء المؤرخون ، أن العرب كانوا أصحاب اتجاه تجريبى واضح فى حياتهم الفكرية والعلمية على حد سواء ؛ فلم يحدث أن غضوا النظر عن الواقع العيانى الذى يحيط بهم ، أو سجنوا أنفسهم فى برج عاجى مترفعين عن هـذا الواقع . ولا غرابة فى ذلك ، والقرآن الكريم الذى هو المنهل الخصب للعقول والنفوس فى أرض العرب ، يحث على النظر القائم على النور الفطرى الذى حبانا الله به ، كما يدعونا الى الاعتبار بآياته سبحانه وتعالى فى السموات والأرض . فكأن العرب

كانوا منذ أن دخلت عليهم الثقافة القرآنية الكريمة ، أصحاب فكر ، وأصحاب رأى ، بطريقة لم تفصلهم أبدا عن الواقع وخصوبته ، فارتسمت خطوط تفكيرهم نحو مذاهب وأنسقة ربطت الفكر بالواقع ، واحترمت خصوبة هذا الواقع ، وكانت تحوى على الدوام لمسات قوية من التجربة الواقعية والذهنية كانت بمثابة المشعل الذى اهتدى بهداه أهل الغرب فى عصر الجهالة ، فنهضوا من سباتهم العميق ، على صيحات علماء العرب فى مدارسهم التى كانت منتشرة فى ذلك الحين فى الأندلس ، والمغرب وصقلية . فكان مفكرو العرب هم الذين أيقظوا أمم أوربة ، وبعثوا فيها الحياة ، بعد أن ضلت طريقها ، وجمدت على المتوارث من آراء أرسطو .

ومآثر العرب متعددة فى العلوم التى كانت معروفة فى ذلك الحين . وكانوا قد بزوا أهل الغرب فيها بمراحل ، بحيث تخلف هؤلاء عنهم ، واضطروا الى أن يأخذوا عنهم منهجهم الذى يطلق للعقل عنانه ، ليعمل ويقارن ويستنتج ويستبعد ، فى الوقت الذى كان فيه أهل الغرب يلجمون عقولهم بلجام المنقولات المتوارثة .

ونحن بتعرفنا على أهل الفكر من العرب — وخاصة المتكلمين منهم — انما نرمى الى بيان أصالة الفكر العربى من جهة ، وأثر هذا الفكر فى بعث نهضة أهل الغرب من جهة أخرى ، بحيث تتبين لنا مختلف العوامل التى عملت عملها فى تاريخ الفكر البشرى ، ونكون بذلك قد أبرزنا ، حلقة غالية فى سلسلة النتاج

الفـــكرى ؛ أسقطها تحيز بعض المستشرقين المتعصبين ، ممن تناولوا الحقائق العلمية دون تقدير للانصاف العلمى الخالص .

ودراسة امام الحرمين — سيرة ومذهبا — تسفر عن أصالة فى الفكر تستحق من الباحث كل اهتمام وتقدير ، اذ بلغ من حرصه على أداء أفكاره واضحة جلية ، أن قدم لأقواله الكلامية بمذهب فى المعرفة يُعَدُّ من أدق المذاهب التى عرفت بين العرب حتى ذلك الحين ، والتى يمكن أن نقربها من آراء بعض المحدثين من أهل الغرب ، مما يؤيد نقل هؤلاء عن العرب ، لو ثبت بالأدلة الملموسة اتصالهم بهم ، وأخذهم عنهم . وهـــذا أمر يجب أن يضعه البحاث العرب فى الحسبان .

فنحن اذ نقدم امام الحرمين ، لا نكشف عن شخصية اسلامية لها مكانتها وأثرها الطيب فى النفوس وحسب ، وانما نُعَرِّف أيضا بفكر عربى أصيل ، ساهم فى بناء صرح الحضارة العربية التى كانت مصدراً من مصادر نهضة العلم فى العالم الأوروبى الحديث .

والله يوفقنا جميعا الى ما فيه خير أمتنا العزيزة .

فوقية حسين محمود

مصر الجديدة { ٢٥ رجب ١٣٨٤ هـ
٢٧ نوفمبر ١٩٦٤ م

القسم الأول

إمام الحرمين

[٤١٩ هـ - ٤٧٨ هـ]

الفصل الأول
سيرة إمام الحرمين

١ — يصعب على الباحث فى سيرة امام الحرمين أن يتبين الأصل العربى الذى ينحدر منه الامام ؛ فقد ذكر فى ترجماته على اختلافها أنه « جوينى ، نيسابورى » ، نسبة الى « جوين ونيسابور » وهما من بلدان ولاية « خراسان » و « خراسان » من بلاد فارس .

وقد ولد امام الحرمين فى هذه الولاية ، وفيها أقام ، وبهـا توفى ، أى أنه خراسانى المولد والاقامة والوفاة ؛ مما جعـل الكثيرين يظنون أنه خراسانى الأصل .

الا أن هناك من المترجمين له [١] من تحدث عن والده فذكر أنه طائى سنبسى ، و « طيىء » قبيلة مشهورة من قبائل العرب ، و « سنبس » أبو حىّ من « طيىء » [٢] . وهذا ينتهى بنا الى

---

(١) السبكى ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٠٨ .
السمعانى ـ سير أعلام النبلاء جـ١١ ق١ ل١٣٧ يسار.

(٢) محب الدين أبو الفيض السـيد محمد مرتضى الحسينى الواسـطى الزبيدى الحنفى : تاج العروس من جواهـر القاموس جـ ٤ ص ١٦٨ ، ص ١٩٢ .

أن هذا الوالد كان عربى الأصل ، وأن ابنه بالتالى عربى ، من دم عربى أصيل ، ولهذا تستطيع أن تقطع بعربية هذا الامام .

وامام الحرمين هو : عبد الملك ، بن عبد الله ، بن يوسف ، ابن محمد ، بن عبد الله ، بن حيّويَة — بمثناتين من تحت أولاهما — أى الياء الأولى — مضمومة مشدودة ، والثانية مفتوحة .

وللامام كنية تدل على مكانته بين أهله وعشيرته من بنى عصره ؛ فقد كُنى بأبى المعالى . وليس هذا بكثير على امام ، قضى حياته فى تحصيل ونشر العلوم الالهية ، ولم يأل جهداً فى العمل على اعلاء شأن الدين ، حيث جمع بين سلامة المنطق ؛ ومتانة القول فى الرد على خصومه ، فأظهر الحق ، وأزهق الباطل ، وعلا شأن الدين على يديه ؛ فقيل له : أبو المعالى .

ذكرنا أن الامام قد نسب الى « جوين » و « نيسابور » ، وذكرنا أن البلدتين من بلدان فارس . فان أردنا أن نعرّف بهما فى ايجاز فاننا نذكر أن « جوين » أو « كوين » ناحية من نواحى نيسابور ، اذ تقع بين بسطام ونيسابور ، تحدها « بيهق » من الشرق و « جاجرم » من الشمال [1] . وهى بلدة مشهورة بعلمائها وأهلها من ذوى الصيت الذائع ، وينسب اليها قوم عديدون غير امام الحرمين ، يذكر منهم ياقوت : والد عبد الملك (امام الحرمين) عبد الله الجوينى ، وكان من العلماء ، وعمه

---

(١) ياقوت ـ معجم البلدان ـ المجلد الثالث مادة « جوين » ص ١٨١ .

الحسن على بن يوسف الجوينى الذى يلقب بشيخ الحجاز ؛ وكان صوفيا ، لطيفا ، فاضلا ، اشتغل بالعلم والحديث ؛ وصنف فى التصوف ؛ وسمى كتابه « الصلاة » ؛ كما ينسب اليها أيضا موسى بن العباس بن محمد أبو عمران الجوينى النيسابورى ، وكثيرون غيرهم .

هذا فيما يتعلق بجوين ، أما « نيسابور » ، فهى كما تبينا مجاورة لجوين ، ولا تقل عنها فى ذيوع الصيت ، ان لم تكن تزيد عنها من حيث انها كانت مركزا للعلماء ، فترة طويلة من الزمن ، وكان بها عدة مدارس ومجالس علم منها مدرسة البيهقى وغيرها ، كما كانت تتوسط مناطق آهلة بالسكان ، فكان بينها وبين الرى ستة عشر فرسخا ، وبينها وبين « سرخس » أربعون فرسخا [1] .

هاتان هما البلدتان اللتان نسب اليهما امام الحرمين . والمعروف أن نسبة الأفراد الى المدن تكون فى أكثر الأحيان بحكم المولد أو الاقامة أو الوفاة .

وهنا نتساءل لماذا نسب عبد الملك الى « جوين » ولم يرد فى سيرته ما يدل على أنه قد ولد أو أقام أو توفى بها .

ليس أمامنا الا أن ننتقل الى سيرة والده عبد الله ؛ فنجد أنه ولد « بجوين » ومكث بها فترة من الزمن مخالطا علماءها : فتأدب وتفقه على أيديهم ، ثم رحل بعد ذلك عنها ، طلبا للعلم ، واستقر بنيسابور ، على نحو ما سيجىء تفصيله بعد ؛ فيكون

(١) المرجع السابق ــ المجلد الثامن ــ مادة نيسابور ص ٣٥٦ .

والد الامام قد نسب الى مسقط رأسه ، وعرف بالجوينى طوال حياته . فلما وافته المنية ، وجلس ابنه عبد الملك مكانه للتدريس انتقلت اليه هذه النسبة ، ومن ثم تكون نسبة عبد الملك الى « جوين » قد وقعت بالوراثة .

أما عن نسبته الى « نيسابور » فذلك يرجع الى طول اقامته بها .

وما دمنا بصدد التعريف بأصله واسمه وكنيته ، فلنتعرف أيضا على ما اشتهر به من ألقاب أجمع المترجمون على تلقيبه بامام الحرمين [1] . وقيل انه لقب بهذا الاسم ؛ لأنه جاور بمكة أربع سنوات كان خلالها يناظر ، ويلقى الدروس ، لتثبيت الدين وتقوية عمده ، فقيل عنه : امام الحرمين .

وأضاف ابن العماد ، وابن خلكان ؛ وابن فضل الله العمرى ، فذكروه بلقب « ضياء الدين » ويبدو أنه أطلق عليه هذا اللقب ،

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٤٩ .
ـ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ ٥ ص ١٢١ .
ـ ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب . جـ ٣ ص ٣٥٨ .
ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٦١ .
ـ ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم جـ ٩ ص ١٨ .
ـ ابن عساكر تبيين كذب المفترى ص ٢٧٨ .
ـ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار جـ ٣ ق ١ ل ٣٨ ظ .
ـ السمعانى ـ الأنساب ل ١٤٤ ظ .
ـ الذهبى ـ سير أعلام النبلاء : جـ ١١ ق ٢ ل ٢٥٥ يمين.

لما كان عليه من القدرة على انارة الطريق للمدافعين عن العقيدة ؛ فقد مكن أهل السنة من الرد على الفرق الضالة الهالكة ، فكان نورهم الذى به اهتدوا الى سـواء السبيل ، وقد أرادوا أن يعبروا عما يكنون له من التقدير ، فلقبوه بضياء الدين .

٢ — وليس هذا بعجيب وامام الحرمين من بيت علم ودين ، فوالده هو الشيخ عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن محمد بن حيّويـة . ذكره كثير من المترجمين ، وأفاضوا فى بيان تقواه وعلمه وفضله (١) .

ويتبين الباحث من دراسة سيرة هذا الوالد أنه كان له الأثر كل الأثر فى توجيه ابنه نحو التعمق فى تحصيل العلوم الاسلامية ، وتكريس حياته لخدمة الدين ؛ ولذا سنقف عند هـذه السيرة لنبرز معالمها ونبين أصالة البيت الذى نبت فيه الامام حيث وجد العلم والتقوى بين أب وأم صالحين تقيين .

تحدثنا التراجم عن حياة ذلك الوالد بناحية جوين ، حيث ولد وعاش فترة من الزمن ، وهو السبنسى الطائى كما ذكرنا ؛ فتذكر أنه تلقى العلم أول ما تلقى على والده المعروف بالأديب يوسف ، الذى عرّفه بعلوم اللغة والأدب . كما التقى فى هذه الفترة بأبى يعقوب الأبيوردى ، وتفقه على يديه ، والأبيوردى من كبار الأئمة فى الفقه .

ثم فكر عبد الله فى الارتحال عن « جوين » طلبا للعلم على

(١) السبكى طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢٠٨ .
الذهبى ـ سير أعلام النبلاء جـ ١١ ق ١ ل ١٣٧ يسار .

عـادة جميع العلماء فى ذلك الحين ؛ فتوجه أول ما توجه الى نيسابور ؛ حيث قابل أبا الطيب الصعلوكى ؛ الذى كان فقيها شافعيا ومتكلما وأديبا . وبعد أن قضى فترة مع هذا الامـام الشافعى المذهب اتجه نحو « مرو » ، قاصداً القفال المروزى الذى كان له فى المذهب الشافعى ما ليس لغيره من أبناء عصره — على حد قول المترجمين له — والذى لقب بالقفال ؛ لأنه أمضى فترة طويلة من عمره فى صنع الأقفال ، ولم يمنعه هذا من التبحر فى العلم والوصول الى أعلى مراتبه . وتفقه على يديه كثيرون ، وصار أغلبهم من كبار الأئمة فيما بعد . وقد لازمه « عبد الله » حتى برع على يديه فى المذهب الشافعى وعلم الكلام وأتقن طريقته ، ثم رجع الى « نيسابور » وكان ذلك عام ٤٠٧ هـ واستقر مقامه بها الى أن وافته المنية حوالى عام ٤٣٨ هـ .

تتبين مما تقدم مدى توفر العنصر الاسلامى ، من حديث ، وفقه ، وكلام فى ثقافة هذا الوالد ، فاذا عرفنا — زيادة على هذا — أنه لم يقف عند حد التحصيل ، بل عمل بكل جهده على نشر العلم ، حتى انه حين استقر بنيسابور كان يعقد بها المجالس للمناظرة والفتـوى وتعليم الخاص والعام ، وافتتح مدرسـة للتعليم ، تميزت بطابع دينى خالص ، يبعد بها كل البعد ويميزها كل التمييز عن غـيرها من مجالس أهل الزندقة ، التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، وضح لنا بما ذكرنا كيف كانت بيئة امام الحرمين العائلية خليقة بتكوين امام أمين على العلوم الاسلامية ، محب لها ، وخاصة وأن هذا الوالد ، قد تميز بصفات منها : ولعه

الشديد بالعلم حتى انه كان يقول فى دعاء قنوت الصبح : « اللهم لا تعقنا عن العلم بعائق ، ولا تمنعنا عنه بمانع » . ومنها حرصه الشديد على عدم الوقوع فى الشبهات ، اذ يحكى أنه ما كان يستند فى داره الى الجدار المشترك بينه وبين جيرانه ، ولا يدق فيه وتداً ، وكان يحتاط فى أداء الزكاة حتى كان يؤديها فى السنة مرتين حذر النسيان أو دفعها الى غير المستحق .

كما ذكر عنه بصدد اتصاله بأم ولده أنه اتخذها أمة اشتراها بمال حلال من كسب يده ، عن طريق النسخ بالأجرة ، لكى تكون عليه خيراً وبركة . وكانت صالحة وما ان حملت منه حتى أخذ يوصيها بمجانبة ما فيه شبهة ، سواء فيما يتعلق بها ، أو ما يمس ولدهما ، وقد كان لهذا أثره فى حسن تنشئة الصبى .

ثم كان من أثر تغلغل هذه الصفة فى نفس الوالد أن كان يتحرج فى اخراج مؤلفاته خوفا من الوقوع فى الشبهات . يحكى أنه أراد أن يكتب كتابا سماه « المحيط » لا يتقيد فيه بالمذهب الشافعى ، متجنبا التعصب للمذاهب ، غير أنه حدث أن أطلع الحافظ أبو بكر البيهقى على أجزاء ثلاثة من هذا الكتاب ، فراعه أن يتخذ عبد الله الجوينى هذا الطريق ، وأرسل إليه ، ينتقده ، مبينا الأوهام الحديثية [1] ؛ التى لا يستطيع أن يتبينها الا من

---

(١) ورد نص الرسالة التي أرسلها الحافظ البيهقى الى أبى محمد الجوينى فى مرجعين :
الأول ـ طبقات الشافعية الكبرى جـ ٣ ص ٢١٠ الى ص ٢١٧ .
والثانى ـ ... مجموعة الرسائل المنيرية جـ ٣ من ص ٢٨١ الى ص ٢٩١ .

يتقن علوم الحديث . فما كان من « عبد الله » الا أن رجع عن المضى فى كتابة هذا المصنف . ويذكر أنه ارتاع من هول ما أتت يداه ، وتاب عن فعله ؛ بعد أن شكر البيهقى على توجيهه وارشاده .

هكذا تتبين كيف كان لهذه الصفة أثرها فى توجيه نشاطه وجهة اسلامية خالصة ؛ اذ لم يحاول من بعد حادثة كتاب « المحيط » أن يقر علوما غير اسلامية .

غير أن واقعة « المحيط » هذه ، وان كانت تكشف عن مدى تمسك والد الامام بأصول البحث الفقهى المترفع عن الظن والأوهام ، الا أنها تدل فى الوقت نفسه على ناحية خفية من نواحى نفسيته واتجاهه الذاتى ، أقصد نزعته الى عدم التقيد بالمذاهب ، والأخذ بما يهديه اليه عقله واجتهاده المعتمد على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ، دون النقل عن المجتهدين السابقين عليه .

وهذا يعنى أن امام الحرمين قد لمس منذ نعومة أظفاره نزعات من الرغبة نحو التحرر تجاوبت معها نفسه ؛ لذلك اتجه نحو التحرر من النقل الخالص فى كتاباته ، وأتقن نقد المذاهب المخالفة على نحو ما يظهر لنا من مصنفاته عند الكلام عليها .

فاذا أردنا أن نتعرف على هذا الوالد من خلال كتاباته فسنجد أنفسنا أمام مجموعة من الكتب مثل : الفروق ، والسلسلة ، والتبصرة ، والتذكرة ، ومختصر المختصر ، وشرح الرسالة ؛ والمختصر فى موقف الامام والمأموم ، والتفسير الكبير الذى

يشتمل على عشرة أنواع فى كل آية . غير أن هـذه الكتب لم أجد لها ذكرا فى فهارس المكتبات المشهورة . الا أن البحث هدانى الى أحد مصنفاته وهو « رسالة فى اثبات الاستواء والفوقية فى تنزيه البارى عز وجل عن الحصر والتمثيل والفوقية » . تبدأ هذه الرسالة ببيان أن « الدين نصيحة » أى أنه يحوى التوجيه والارشاد لكل نفس ينتابها القلق ويداخلها الشك فى أمر من أمور الدين . ويتناول الامام بعد ذلك مسألة « ظاهر الصفات » ووصف الله نفسه بها ، ويفصل القول فى الفوقية والاستواء والنزول كما يبحث مسألة ثبوت « صفة الوجه » ومسألة « الحرف والصوت ، وينتهى الى أن علوه على عرشه سبحانه وتعالى لا كيف له ولا انحصار ، أى على مثال يخالف من جميع الوجوه جلوس المخلوق على عرشه فالمخلوق أى العبد له قدّ ومقدار وله حدود وظروف وطريقة تميزه عن غيره وتعين وجوده فى مكانه فوق العرش ؛ أما الله سبحانه وتعالى فجلوسه على عرشه « بلا كيف » ويفسر مسألة الفوقية ، لا بمعنى الجهة ولكن بمعنى الغلبة والقهر .

ويحرص الامام على بيان أن الله تعالى « كان ولا مكان ، ولا انس ولا جان ، ولا طائر ولا حيوان .. » وهذا يعنى أنه يثبت لله تعالى صفة القدم ، ويرى أنه « المنفرد بوحدانيته فى قدّ أزليته ، والدايم فى فردانيته فى قدس حمدانيته .. » فهو يثبت لله القدم والوحدانية والأزلية والدوام فى الفردانية ، أى

اختلافه عن البشر فى وجوده وصفاته تعالى وتنزه عن كل حدّ ؛ وقدّ ومكان وزمان .

ويحدد الامـام الغاية من البحث فى هذه المسائل فيذكر أن « .. من نقّى الله قلبه ، عرف أنه ليس المراد الا معرفة الرب تعالى والتوجه اليه منها » . ويؤكد ضرورة اثبات هذه المعرفة بحقائقها « .. وأعيانها ، كما يليق بجلاله وعظمته » . ولذلك وجب البعـد عن تأويل حقيقته تعـالى ؛ فلابد من تفادى التكييف ، والتمثيل . ويلاحظ أن الامام يشترط لبلوغ هذه المعرفة ، نقاء القلب وصفاء الروح ، وتفتح البصيرة . وهو فى هذا كله يواجه الأنام بعبارات مبسطة لا تعقيد فيها ولا تمثيل ، وينتقى ألفاظا تقرب المعنى المطلوب دون أن يلجأ الى الحجج والبراهين العقلية التى لجأ اليها غيره من متكلمى الاسلام ممن لحقوا به ، ونذكر بالذات ابنه عبد الملك امام الحرمين . وهذه الرسـالة مطبوعة ضمن « مجموعة الرسائل المنيرية » سنة ١٣٤٣ هـ وهى الرسالة الثانية من المجموعة . ويوجد منها نسخ خطية ببرلين ولنـدن والموصل .

ويتبين الباحث فى هذا المصنف لون الكتابات التى كان يعنى بها والد الامام كشيخ مسئول ، ينقل الى معاصريه ألوان المعارف الاسلامية وقد كان لهذا اللون من الكتابات ولطبيعة العمل الذى كان يقوم به هذا الوالد وما تميز به من صفات ، أثره فى توجيه امام الحرمين وجهة الاستقصاء والتحصيل كما ذكرنا ، وهو الذى تتلمذ أول ما تتلمذ على والده الشيخ صاحب القدم الراسخة فى